

## سمطقة الأنساق الدالة

د. عبد القادر فهيم شيباني

قسم اللغة العربية والدراسات الإماراتية

كليات التقنية العليا-رأس الخيمة

دولة الإمارات المتحدة

### توطئة:

لم يتضح الفارق الجوهرى بين اللغة العامة ولغة العلم إلا بظهور أقطاب الوضعية المنطقية، فلم تكد لغة العلم تخرج عن لوك المعاد المكرور من الفتات الميتافيزيقي الذي تخلفه اللغة بصياغاتها المغالطة: تلك الصياغات التي تحول جل المسائل الموضوعية المطروحة على منطوق العلم (العدد، الزمن، الفضاء، الخ) إلى أشباه - مسائل موضوعية تحليل إلى جمل و مفردات أو نظريات بدل أن تحيل إلى حقيقة الأشياء ذاتها<sup>1</sup>.

وقد وجد هذا المشروع منطلقه في مفهوم التعيين الذي حدده جون أستورت ميل عبر إزاحته من مجال المعنى إلى مجال الإحالة، فالكلمة أو العلامة تعين الأشياء قبل أن تدل على المعنى لذلك نلني شال ويليام موريس يفصل بين الممدلل significatum والمعين denotatum على غرار رودولف كارناب في فصله بين القصد intention والمصادق extension.

وقد كان على كارناب أن ينتظر الفتح الذي جاء به هيلبرت ضمن مشروع الرياضيات الواصفة ليدعي فرضية بناء لغة مثالية (اصطناعية) فقد وجدت الرياضيات (بما فيها الهندسة والجبر، التحليل، الإحصاء، الخ) في التحسب مجالاً صورياً كاشفاً عن البنية المنطقية للتفكير الرياضي، فهي إذ ذاك يستطيع، أن يحلل مختلف العلامات الرياضية وأن يحررها من تلك المعاني الغامضة بتقديم تعاريف: عمليات وقواعد دقيقة ومنطقية ف: فتجيدشتين يرى أنه مثلما نستطيع حل مشكل شطرنجي على الورق و عبر رموز واصفة، فإننا نستطيع حل الاشكاليات الهندسية عن طريق التحسب و من دون أن نؤسس لنظرية جيدة<sup>2</sup> ولقد أتاحت هذه الفرضية مجالاً للتحري عن منطوق اللغة: منطوق يعتمد الدلالة المعرفية (التعيين=التعبير الموضوع) منطلقاً- بدل الدلالة التعبيرية- في تأسيس تراكيب تخلو من كل ما هو ميتافيزيقي، و عن إستمولوجيا فعلية للغة- الواصفة، يقول كارناب: "...يببدو أن التطوير التام لفرضية اللغة- الواصفة سيسهم في إيضاح واسع في صياغة الإشكاليات الفلسفية والحديث عنها"<sup>3</sup>. حيث يسمح الارتفاع باللغة إلى أعلى مستوياتها التعبيرية عبر الجمل التركيبية بالاقتراب من الموضوعات والأشياء والابتعاد عن معيناتها الوسيطة. إن الجمل التي تحقق شرط الموضوعية والتي يستحيل تحويلها

إلى جمل تركيبية ضمن إطار نظرية التركيب المنطقي للغة، تتخذ وضع جمل ميتافيزيقية تخلو من أية علاقات رياضية أو منطقية و من أي معنى معرفي.

أفضت الابدستمولوجيا السيميائية للغة الواصفة يامسليف إلى إحداث قطيعة مع كل ما هو واقعي و من ثم مع الميتافيزيقا كون صورة الدلالة ، ضمن التصور الغلوسيماتى، تتفك عن الارتباط بالأشياء أو حالاتها ، فالعلامة ليست علامة لشيء، وإنما تجد محايثتها في تلاحم شكلي التعبير و المحتوى عبر الوظيفة السيميائية الداخلية التي تحدد العلامة بوصفها تمثالا لعينيات اعتباطية تتصرف عن أية قيمة واقعية . ويستطيع هذا التصور أن يحفظ للعلامة خاصيتها الدلالية ضمن إطار اللغة الواصفة و يؤسس للتراتب الدلالي في كل علاقة واصفة و ذلك بالنظر إلى اهتمامات النظرية اللسانية التي لا تتوقف عند حدود الوصف الصوري لشكل التعبير (أوصوره) بقدر ما تجد موضوعها في تلاحم هذا الأخير مع شكل المحتوى فاللغة- الواصفة ضمن هذا الإطار تؤسس لتراتب اللغات (أو أي بنية مجموعائية تتألف عناصرها من جمل أو علامات ) ضمن علاقات دلالية: أين محتوى اللغة ن+ 1 هو اللغة ن، من المحتويات للغتين متباينتين على التوالي . في حين تكتفي اللغة- الواصفة المنطقية بالمستويات التعبيرية و تسعى لخلق ترتيب بينها عبر علاقات احتوائية: ن2ن+1ن+2.....<sup>4</sup> .

تستمد العلاقة الواصفة مرجعيتها من ذلك التباين الحاصل بين اللغات الذي يؤسس لعماد الترتاب السيميائي، فقد لاحظ يامسليف مدى التباين الحاصل بين الألسن الطبيعية(أو فيما اسماه باللغات – غير المقيدة) التي تستطيع أن تعبر عن أية دلالة وجدت، و تلك اللغات المقيدة التي لا تخص سوى قسما معيننا من الدلالة فهي تستعمل لغايات محددة ، و كل دلالة تغطيها هذه الاخيرة تستطيع الألسن أن تستوعبها مثلما تستوعب بعضها البعض <sup>5</sup> ، بل إنها قد تمتد لتصف نفسها بنفسها أثناء عملية التواصل ، ف: ياكوبسون يرى أن اللغة- الواصفة ظاهرة طبيعية ، لا تمثل فقط تلك الأداة العلمية الضرورية لمطلبات المنطق أو اللسانيات، بل إنها تتغلغل في لغتنا اليومية و حتى في تمرسنا على اللغة ذاتها <sup>6</sup> . عبر هذه الخصيصة يستطيع اللسان أن يجد لنفسه موقعا مميزا عن باقي الأنساق السيميائية الأخرى لكونه لا يحتاج إلى أكثر من لعبة تركيبية ليصف نفسه بنفسه و ذلك على نقيض تلك الأنساق السيميائية التي تحتكم إلى أسنن خاصة و تحتاج في وصف نفسها إلى أن تستعين بلغات أخرى أو إلى معايير تفتقدها (دلالية، تركيبية، تداولية). إن خاصية التعالي التي تتمتع بها الألسن تجيز لها اختراق كل الأنساق الدالة و ردها إلى لغة وحيدة و مشتركة ، و تجعل منها المؤول الشمولي أو العام بوصفها سيميائية- واصفة *métasémiotique*. إلى هنا فإن مجموع العمليات : المعايير و المبادئ التي تؤسس للغة- الواصفة تستطيع أن تؤلف بدورها مبادئ للسيميائيات العامة.

1. العلامة الواصفة:

تكمّن أهمية اللغة- الواصفة في طرحها لجملة من المفردات الناشئة عن مفردات اللغة- الموضوع ، فهي بذلك تتمركز حول علامة العلامة ، حيث تسمح العلاقة الاعتباطية المتعدية القائمة بين العلامة الواصفة و العلامة الموضوع ببلورة علامة مضاعفة تستمد خصوصيتها من ذلك المعنى التقني الذي تحمله، إنها ذلك الكيان المميز الذي لا هو بالتعبير نفسه و لا هو بالممثل لخصائصه فهو بذلك يختلف تماما عن شكل التعبير الاستعمالي<sup>8</sup> . ولقد مثلت العلامة- الواصفة إشكالية تقليدية عبر تاريخ فلسفة اللغة بدءا ب: بورفير و بوريس فيما أسماه ب: "أسماء الأسماء" او "أسماء الكلمات"، ووصولاً إلى أوغسطين الذي تنبه إلى أن التصور الرواق للعلامة (دال مدلول) يستطيع أن يحول و عبر مبدأ الاعتباط كل الأشياء إلى علامات – و من ثم فقد ميز بين "العلامة العادية" أو علامات الأشياء و بين "العلامة – الواصفة"، في حين ظهر مصطلح le suppositio materialis لدى كل من شرسوود و أوكام ، بينما حدد كارناب مفهوم العلامة- الواصفة بمصطلح autonym<sup>9</sup> .

وسعى لاستنفاد امتدادات النسق الدال حاول يامسليف تقديم تصور شمولي ضمن شبكة تراتبية تتخذ الأنساق الدالة منطلقا و تقوم أساسا على ثلاثة مستويات سيميائية:

- (1) السيميائية التعيينية تع(مح).
- (2) السيميائية الواصفة تع (تع مح).
- (3) السيميائية الإيحائية تع مح(مح).

و قد استطاع هذا التحديد رفع ذلك اللبس الذي أثارته العلامة الواصفة لدى البعض من فلاسفة اللغة- حيث وصفت باللاعامة، و بالتعبير المحروم من المحتوى ، و بالذكر في مقابل الاستعمال ، الخ- حين حددها ضمن مستوى اللغة- الواصفة . بيد أن ما يلفت الانتباه في تصور يامسليف للغة الواصفة هو تحديده للعلاقة الواصفة بين علامتين (العلامة الواصفة لعلامة أخرى) و ليس بين العلامة و مستوى من مستوياتها ( العلامة الواصفة لنفسها) و التي تسمى بالعلامة المنعكسة le signe réflexive . ففي مقابل العلامة الواصفة العادية : تع(تع مح) تتحدد العلامة المنعكسة تع (تع مح) بوصفها:<sup>10</sup>

- (1) علامة معللة يتضمن مستوى المحتوى فيها نفس تعبيرها.
- (2) لا تخضع للتسنين.
- (3) غير قابلة للمرادفة التعبيرية: فالتعبير فيها غير قابل لأن يعبر عنه بتعبيرات أخرى.
- (4) غير قابلة للرد إلى لغة أخرى.

و إذا فإن العلامة الواصفة لا تتمظهر فقط في صورة علامة دالة على علامة أخرى، ولكنها تطرح كذلك إشكالية العلامة الدالة على "علامة خاصة" من نفس تعبيرها . مثل هذا التصور يستطيع أن يدقق صورة السيميائيات العامة في تعاملها مع الأنساق الدالة و ضمن مختلف أوضاعها ، فكذلك على السيميائيات العامة أن تميز بين أوضاع النسق الدال ، فصورة الإشارة المرورية مثلا على صفحة

من صفحات كتاب المرور تختلف تماما عن وضعها في الواقع ، لكونها تأخذ وضع علامة منعكسة : فهي لا تدل على أمر مروري معين، بقدر ما تدل على الإشارة المرورية في حد ذاتها. وقد أغرى هذا التصور بشموليته الدلالية جزيتت راي- دبوبف إلى استثمار فرضية العلامة الواصفة (المنعكسة و الغير المنعكسة ) ضمن المستويات التي حددها يامسليف، وذلك سعيا لاشتمال البعد الدلالي للعلامات اللسانية الواصفة ، ومشيرة في نفس الوقت إلى إمكانية إسقاط مثل هذا التصور على كل الأنساق الدالة<sup>11</sup>.

1. السيميائية التعيينية:

يرى يامسليف أن التعيين بوصفه قاعدة لكل لغة فهو يستطيع أن يحقق مظهره السيميائي ضمن الإطار الذي لا يتوفر فيه كل مستوى من مستوييه على الخاصية السيميائية ، ذلك أن الخاصية السيميائية لأي نسق ترتبط بالحضور الثنائي والمتزامن لمستويي التعبير والمحتوى . فبعض الأنساق التعيينية تستطيع أن تحقق شرط قابلية الرد إلى اللسان ، لكنها تقوم أساسا على مستوى وحيد كتلك الأنساق التركيبية الخالصة من مثل الصبغ الرياضية ، والموسيقى ، الخ، وتلك الأنساق الرمزية التي توجد في تماثل مع مؤولاتها، وصولا إلى تلك العلامات المحاكية، ويقترن المبدأ السيميائي للتعين ( التعيين = التعبير ع المحتوى) بالمرجعية السوسيرية التي ترى أن العلامة تعرف بدلالاتها ، ففي ظل مبدأ القيمة كشف لنا الوعي السيميائي عن الثنائية الشكلية للتعبير والمحتوى ، وذلك على خلاف التوجه المنطقي الذي يقرن الخاصية السيميائية بمستوى التعبير وحده، لذلك ألغينا اللغة- الواصفة المنطقية- والتي حددها المناطقة الوضعيون (كارناب)- تعتمد التركيب أساسا لها<sup>12</sup> . وتألّف السيميائية التعيينية من أنساق منعكسة و أخرى غير منعكسة:<sup>13</sup>

أ. الأنساق الغير المنعكسة:

يتألّف هذا النسق عادة من علامات مسننة واعتباطية موكلة للتحدث عن عالم الأشياء عبر انتقالها من الدلالة على العلامة إلى الدلالة على عالم الأشياء : أي أنها تتحول من وضع العلامة الواصفة المنعكسة تع<sub>1</sub> (تع<sub>1</sub> مح<sub>1</sub>) إلى تجاوز شق المحتوى (تع<sub>1</sub>) ضمن علامة مجازية . وتتنظم هذه الأنساق ضمن صيغة عامة: تع<sub>1</sub> (مح<sub>1</sub>) إذ يمكن لهذه الصيغة أن تضبط الوضعية السيميائية الدقيقة لتلك العلامات المجازية ، من مثل تلك التي حددها ياكوبسون : فالرسم التكميبي مثلا وبوصفه نسقا سيميائيا ، لا يعمل إلا على تحويل الموضوعات إلى سلسلة من المجازات الكلية، وكذلك تأخذ التقنيات السيميائية (تقنية الإطار المكبر، المونتاج، الخ) وضع علامات مجازية صيغتها العامة : تع<sub>1</sub>(مح<sub>1</sub>).

ب. الأنساق المنعكسة:

يتألف هذا النسق من تلك العلامات المحاكية (anomatopéiques) التي يتوحد فيها التعبير بالمحتوى ويصعب ضمنها التمييز بينهما ، وتوصف عادة بضجيج اللغة، علامات هذا النسق غير قابلة للمرادفة وتأتي تارة مسننة وأخرى غير مسننة لكونها معللة. وتنتظم ضمن صيغة عامة تع<sup>1</sup>(تع<sup>1</sup>).

وتستطيع هذه الصيغة أن تضبط وضعية تلك الأنساق السيميائية التي تستند على علامات حسية في جوهرها من مثل العلامات الشمية و العلامات الذوقية و كل العلامات المحاكية فمثل هذه العلامات لم تحظ بالدراسة السيميائية ، ويشكك البعض في إمكانية إدراجها ضمن الأنساق التواصلية المعتادة اللسانية أو البصرية فقط لكونها غير قابلة للوصف وتعريفها يخرج عن متناول اللغة . لكن المتأمل في تلك المنتجات العطرية مثلا، يلقي أن تلك الأسماء أو العلامات التي اختيرت لها لا تمثل في واقع الأمر سوى محتويات - شممية تأخذ وضع شكل تعبيرى منعكس: تع<sup>1</sup>(تع<sup>1</sup>).

## 2. السيميائية الإيحائية:

تحدد سيميائية الإيحاء في الوقت الذي يتخذ فيه مستوى التعبير وضعا سيميائيا: أي في الوضع الذي يتحول فيه مستوى التعبير إلى علامة تحقق الشرط السيميائي للتعين<sup>14</sup> ، وبعبارة أخرى فإن سيميائية الإيحاء تحول كل نسق أولي (تع مح) إلى مستوى تعبيرى بسيط ضمن نسق ثان (تع مح) مح، صيغة تنقل النسق الأول من وضعيته التعيينية إلى درجة إيحائية يحقق ضمنها مستوى التعبير المبدأ السيميائي. فالعلامة تنشأ للوهلة الأولى بوصفها موضوعا استعماليا إذ يكتسب هذا الموضوع انطلاقا من المجتمع غايات دلالية تتراكم ضمن مستويات لغوية متباينة تتخذ العلامة الأولية قاعدة لها، فمثلا يحتاج التوظيف المتراد (خدمة الدفاع) للمعطف الريشي بوصفه علامة إلى لغة من الدرجة الثانية ليستطيع أن يحقق عبرها وجوده الإيحائي ، ويتم ذلك عبر إعادة تمثيل العلامة نفسها بوصفها تعبيراً و ذلك حتى تتوافق مع المؤسسة الدلالية الجديدة (الرفاهية). فالعلامة الإيحائية هي بمثابة قناع حقيقي يتولى إخفاء الحقيقة الدلالية للعلامة . و بدورها تنقسم السيميائية الإيحائية إلى أنساق منعكسة و أخرى غير منعكسة:<sup>15</sup>

### أ. الأنساق الغير المنعكسة:

ينبغي تمييز الصيغة العامة للعلامة الإيحائية ضمن مجال السيميائية الإيحائية وذلك بحسب الطبيعة السيميائية أو اللسانية التي يحددها التعبير، فإذا كان التصور السيميائي العام يحدد العلامة الإيحائية بوصفها ذلك التعبير الذي يتخذ المحتوى التعييني جزءا منه: تع مح(مح)، فإنها تأخذ ضمن التصور اللساني وضع ذلك التعبير المتعلق بالمحتوى التعييني من جهة، والإيحائي من جهة أخرى: تع<sup>1</sup>(تع<sup>1</sup> مح س)، إذ ينتسب هذا الأخير تارة إلى عالم الأشياء من مثل محتوى القوة للأسد ، وأخرى إلى عالم اللغة- وهو الذي يهمننا- فيأخذ وضع علامة قائمة بذاتها (مح س = تع<sup>2</sup> مح<sup>2</sup>) ضمن صيغة عامة تأخذ

ضمناها العلامة الإيحائية وضعا واصفا: تع 1 [مح 1 (تع 2 مح 2)] فتدل حضوريا وبالغياب على محتواها الإيحائي.. ويبرز هذا النوع من الإيحاء بجلاء ضمن "النسق البلاغي" الذي حدده رولان بارت للموضوعة:<sup>16</sup>

3- الإيحاء.

2- التعيين: اللغة الواصفة

1 - النسق الواقعي.

### ب. الأنساق المنعكسة:

يتحدد الإيحاء المنعكس ضمن الصيغة العامة للإيحاء تع 1 (مح 1 مح س) حيث يتخذ المحتوى الإيحائي (مح س) وضع علامة تع 1 (مح 1) ضمن صيغة عامة تع 1 [مح 1 (تع 1 مح 1)] وتستطيع تمفصلات هذه الصيغة أن تحدد وبدقة الوضع السيميائي لصيغ مقول القول بين حالات التقديم تع 1 [مح 1 (تع 1 مح 1)] أو التأخير تع 1 (تع 1 مح 1)، وأن تستوعب كل المقاطع المنعكسة للعلامات المحاكية تع 1 [تع 1 (تع 1 مح 1)]، والواصفة تع 1 [تع 1 مح س (تع 1 مح 1)] كقولنا: /التشاكل مثلما سماه غريماس/، ويمكنها أن تمتد إلى تلك الإيحاءات المنعكسة التي تأخذ وضع استعارات كلامية كقولنا: /الأفكار الخضراء تنام غاضبة مثلما قال تشومسكي/ فمثل هذه الجملة تتحدد بوصفها مقطعا منعكسا لإيحاء منعكس ضمن الصيغة تع 1 [تع 1 مح 1 (تع 1 مح 1)]. وبشكل عاك فإن سيميائية الإيحاء المنعكس تخص بالتحديد كل التعابير والصيغ اللغوية التي تستمد مرجعيتها من المعرفة بعالم اللغة لا بعالم الأشياء كأسماء الأعلام، عناوين الآثار الإبداعية، الخ. أين يوجه القصد فيها إلى التعبير، فأسماء الأعلام لا تعين علاماتها الخاصة ولا تصفها بل توحى إليها: تع 1 [؟ (تع 1)]، وكذلك هي عناوين الآثار الإبداعية فهي تأخذ وضع إيحاء منعكس صيغته العامة: تع 1 [تع 1 مح س (تع 1؟)].

وتكمن أهمية هذا التصور للإيحاء المنعكس في إمكانية تحديد الوضع السيميائي لظاهرة التناص، ذلك أن القيمة الدلالية لألية التناص تتجلى أساسا عبر فعل إيحائي متبادل بين النصين المتناصين فالنص الأول يوحي إلى النص الثاني وعبر تحميلة بقيم دلالية إضافية، بينما يوحي النص الثاني إلى النص الأول عبر التذكير به. ومهما تكن طبيعة العلاقات التناصية المتعددة فإن العلاقة التي ندركها بين بعض عناصر النصين تؤول دالا للإيحاء، بينما تأخذ تلك القيم الدلالية المحولة (من التمثيل إلى التضمين): انطلاقا من تغاير وضعية النصين، وضع مدلول للإيحاء، حيث يأخذ كل من دال الإيحاء: ومدلوله صورة منعكسة ضمن وضع التناص تع 1 [مح 1 (تع 1 مح 1)]. وقد لاحظت ك. كيربرايت-أوريثيونى على غرار ميشال أرفي، أن مفهوم الإيحاء - المنعكس الذي حددته دبوف يمكنه أن يمتد إلى تلك التظاهرات الغير لسانية، وأن يحتل أنساقا سيميائية متباينة: كالرسم، والموسيقى، وحتى السينما، الخ<sup>17</sup>. وبالفعل يستطيع هذا التصور أن يحل عديد

الإشكالات المرتبطة بتداخل العلامات أو النصوص ضمن مجال الأنساق السيميائية التي تقوم دلالتها أساسا على استراتيجية تناصية كالإشهار مثلا، حيث يسهم تحديد تخوم النصوص المتداخلة في فضح الألية الدلالية لصورة التناص.

### 3. السيميائية الواصفة:

قد يحدث أن يتخذ مستوى المحتوى وضعا سيميائيا ضمن الإطار الذي يتحول فيه إلى علامة تحقق الشرط السيميائي في التعيين، فالسيميائية الواصفة تعمل على مضاعفة المستوى التعبيري للنسق التعييني ضمن لغة واصفة تتخذه صعيدا للمحتوى، حيث تتولى ضمنها السيميائية الكبرى معالجة السيميائية الصغرى (تع مح) <sup>18</sup> وتنقسم السيميائية الواصفة إلى أنساق منعكسة وأخرى غير منعكسة: <sup>19</sup>

#### أ. الأنساق الغير المنعكسة:

لسانيا، يتألف هذا النسق من كلمات لسانية - واصفة تدل على قسم من الكلمات وتأخذ وضع مفردات شمولية archilexèmes. وهي تأخذ في الغالب وضع خطاب حول اللغة تع<sub>1</sub> (تع س مح س) أو حول اللغة الواصفة تع<sub>1</sub> [تع س مح س]. وتستطيع هذه الصيغة أن تشمل بالتحديد تلك العلامات المضاعفة بعلامات أيقونية عامة، فصورة الإشارة المرورية مثلا، تتخذ وضعا سيميائيا تع<sub>1</sub> (تع س مح س) مغايرا لتلك الإشارة المرورية الواقعية تع س (مح س)، فإذا ما حولنا هذه الصورة إلى رسم تبسيطي (كاريكاتوري) لانتقلنا إلى وضع واصف مضاعف تع<sub>1</sub> [تع س مح س].

ويندرج ضمن هذه الأنساق صورة الأسطورة تتخذ وضع لغة واصفة لكونها لغة تتحدث عن لغة، إذ تتحول ضمنها كل علامة من النسق الأولى إلى دال بسيط ضمن مستوى النسق الثاني (مستوى الاسطورة)، فالمصارعة الحرة تأخذ وضع علامة أسطورية في الوقت الذي تبدوا فيه واصفة للمصارعة الإغريقية بسياقاتها (الفرجة، العرض، الألم، العراك، الصراخ القوة، صخب الجمهور، الخ)، حيث تتحدد آليتها الدلالية ضمن العلاقة التماثلية المعللة التي تحول علامة المصارعة إلى دال بسيط ضمن مستوى الأسطورة <sup>20</sup>.

#### ب. الأنساق المنعكسة:

وتمثل مجموع الأنساق التي تأخذ ضمنها العلامات صيغة عامة تع<sub>1</sub> (تع س مح س)، إذ تستطيع هذه الأنساق أن تنقل تلك العلامات المنعكسة من وضع وحدات غير مسننة على صعيد الكلمات المنعكسة إلى وضع علامات مسننة على صعيد الجمل، أين تأخذ العلامات المنعكسة وضعا سيميائيا أكثر ملائمة من مثل تلك الكلمات الغامضة: تع<sub>1</sub> (تع س؟)، والصور البيانية تع<sub>1</sub> (تع س)، وكذلك العلامات المحاكية وحتى أسماء الأعلام، ذلك أن الكلمات المنعكسة لا تكثرت بالسنن فهي في غالب معللة، ولا

حتى بشكل التمدل الذي استعملت له، وهي في الوقت نفسه غير قابلة للمرادفة أو أن ترد إلى لغة أخرى.

إذ يمكن للسيميايات العامة ضمن هذا الإطار أن تشمل بالتحديد حالات الأيقون المنحل: بوصفه علامة تنشأ عن الوضع المضاعف للأيقون الأصلي (أيقون أصلي x أيقون أصلي=أيقون منحل)، فصورة تمثال أفلاطون مثلا، تأخذ في الحقيقة وضعا سيميائيا واصفا انطلاقا من النسق المنعكس لوضع التمثال، وكذلك يعتمد الفن التشكيلي على أشكال غريبة و غامضة تأخذ وضعها السيميائي بوصفها أنساقا دالة ضمن صيغة يحددها الوضع الواصف تع<sub>1</sub> (تع<sub>1</sub>؟): فالشكل أو اللون لا يجد دلالاته إلا إذا جسد ضمن تمثّل حسي (لوحة، النموذج الحاصل عن كثرة التفاصيل المدركة عبر عملية تجريدية تنقلها إلى وضع لغة واصفة تع<sub>1</sub> [تع<sub>1</sub> مع<sub>1</sub>]، وينطبق الأمر نفسه على تلك الأصوات المحاكية إذا ما سجلت على شريط سمعي مثلا، إذ أنها تأخذ ضمن هذا الأخير وضع لغة واصفة تع<sub>1</sub> (تع<sub>1</sub> تع<sub>1</sub>) وتقريبا من الوضع الأولي لهذه العلامة. تتولى اللغة الواصفة ضمن هذا الإطار فتح مكنون العلاقة الاعباطية الغامضة بين التعبير والمحتوى، إذ تسعى إلى بلوغ نواة العلامة (الوظيفة السيميائية) لاستكشاف الحقيقة الدلالية لعلاقة التعبير بالمحتوى، ويتم ذلك في صورة نشاط يسعى لخلق مستوى تعبيرى يتوافق مع المحتوى الجاهز الذي تحدده العلامة الأولية.

تستطيع السيميائية الواصفة أن تعالج السيميائية العلمية فتأخذ وضع سيميائية علمية واصفة، مثلما تستطيع معالجة الغير علمية فتأخذ وضع سيميائية غير علمية واصفة وهو حال السيميائيات *lasémiologie* التي حددها سوسير، حيث تتحدد السيميائيات الواصفة *métasémiologie* بوصفها سيميائية علمية واصفة تتخذ السيميائيات موضوعا لها<sup>21</sup>.

### 3. السيميائيات الواصفة: (métasémiologie):

إنه إذا ما سلمنا بأن السيميائيات تسعى إلى وصف كل ما هو سيميائي (أي كل سيميائية) داخل اللسان: لا تختلف بهذا عن اللسانيات التي تصف اللسان بالعودة إليه في الوصف، فإننا سنجد السيميائيات – الواصفة تدور في حلقة تكرارية- في وصفها لسيميائية السيميائيات (السيميائية- الموضوع)- لتلك المعطيات التي انتهت إليها السيميائيات، وذلك لأنها مطالبة بتحقيق التطابق الكلي أو الجزئي مع السيميائية- الموضوع إن الفرق هنا يكمن حسب يامسليف في حصريّة موضوع السيميائيات – الواصفة في مقابل ميعان موضوع السيميائيات، وهو الأمر الذي يرهن سلامة الترتيب السيميائي الذي حدده سلفا، إذ لا مجال لأي ارتقاء سيميائي – واصف في ظل غياب حدود الموضوع الموصوف: أو في ظل وصف سابق للموضوع نفسه<sup>22</sup>.

فإذا ما أبنا إلى تلك المحاولات و/ أو التنظيرات السيميائية التي أفرزتها جهود رولان بارت) الموضبة، الأسطورة، الأثاث، الطعام، السيارات، الخ) لألفيناها، حسب تصور يامسليف، لا تخرج عن

حدود السيميائيات ، حتى وإن اشتغلت في كل هذه الأنساق الدالة على نسق الأنساق ، وحتى وإن قدمت وصفا "عبر-لسانيا translinguistique تتداخل فيه اللغة – الواصفة مع الإيحاء إنها تمثل لسانيات من الدرجة الثانية تهتم باللغة- الواصفة كما بالإيحاء : وبشكل عام ببناء أسنن أو بإعادة بنائها انطلاقا من اللغة<sup>23</sup> ، فهي بذلك أقرب إلى الوصفية من أن تكون واصفة، ومن جهة أخرى فإن بارت لا يقر بإمكانية تراتب اللغات الواصفة إلا في وجود موضوع واقعي مشترك بينها يؤلف أساس الوصف الذي تقدمه، حيث يترتب على السيميائيات – الواصفة ان تتولى اختيار شق متميز من تلك المواضيع التي يطرحها الموضوع الواقعي، ومثل هذه الاختيارات تحددها السيرورة التاريخية لتلك العلوم الإنسانية التي تتخذ السيميائيات موضوعا لها: فرضا ، بوصفها تعاقبية من اللغات – الواصفة<sup>24</sup> . يتحدد موضوع السيميائيات كغيره من العلوم الإنسانية ضمن طرق وأساليب معرفة وإدراك الواقعة المادية حيث تسعى وجهات النظر المحددة ضمنها : أي تلك الوظائف أو الغايات العملية ( اللسان ، الدلالة، التواصل، التداول، الخ) إلى الملائمة المعرفية لتلك الطريقة أو الأسلوب في إدراك الواقعة المادية، فهي بذلك لا تدرس الموضوع ذاته بقدر ما تهتم بأسلوب وطريقة إدراكه ومعرفته من هنا تبدو وجهات النظر فيها مائعة وغير محددة، فالفونولوجيا مثلا لا تدرس الأصوات ولكنها تدرس تلك الفونيمات التي تؤلف طريقة أو أسلوبيا في إدراك ومعرفة الأصوات<sup>25</sup> . إن طرق وأساليب إدراك ومعرفة الوقائع المادية بوصفها موضوعا للعلوم الإنسانية عامة و السيميائيات خاصة ، تفترض في الوقت نفسه طرقا وأساليب خاصة في إدراك ومعرفة وقائع أخرى فهي بذلك دالة ( significative ) بانتظامها من جهة ، وقابلة للمدلة ( la sémantisation ) من جهة أخرى<sup>26</sup> . وهو ما يعني أن قابليتها للمدلة يوهم في كثير من الأحيان ، المعرفة نفسها بكونها لغة- واصفة.

\*\*\*

حتى لا تقع السيميائيات – الواصفة في حلقة تكرارية للوصف الذي تقدمه السيميائيات ، فإنه ينبغي عليها أن تهتم بتلك التغيرات المحتملة للنسق الدال وكل ما يجعل منه نسقا خاصا: فهي بذلك لغة للكائن والممكن، وليس عليها البتة أن تخوض في وصف تلك القضايا التي تندرج في نظرية السيميائيات ، بل ينبغي أن تتولى إخضاع محتوى العلامات الدنيا للسيميائيات إلى تحليل علائقي يتناسب مع نفس تلك القواعد التحليلية للنصوص ، بالارتفاع عن المستوى الشكلي للسيميائيات إلى مستوى الجوهر ، مهمتها في ذلك أن تقدم تحليلا تاما . ويفترض تغيير وجهة النظر هذه – الإنتقال من السيميائية الموضوع إلى السيميائية الواصفة- بالنسبة للسيميائيات الواصفة استحداث أدوات جديدة لدفع عجلة التحليل المستنفذ من قبل السيميائيات إلى الأمام وذلك بتطبيق مناهج السيميائيات نفسها<sup>27</sup> .

إن للسميائيات – الواصفة كامل القدرة على استعاب موضوعات السيميائية التعيينية و السيميائية الإيحائية ، ففي اللسان يمكن لها أن تعالج مواضع الصوتيات و الدلالات بوصفها سيميائية تعيينية ، و مواضع اللسانيات الاجتماعية و اللسانيات الخارجية ( التي حددها سوسير) بوصفها سيميائية إيحائية فتشمل بذلك مختلف معاني المحتوى (الجغرافية، التاريخية السياسية، الدينية، الخ) بهذا المعنى فإن علوما من مثل الاجتماعيات ، الإثولوجيا و علم النفس ستجد نفسها مطالبة بالاهتمام في بناء سيميائيات واصفة<sup>28</sup>.

### الإحالات:

- 1- J.J Kartz, la philosophie du langage , trad,J Gzio,Paris, éd Payot,1971,PP,35-36.
- 2- J,Bouverse ,la parole Malheureuse, de l'alchimie linguistique à la grammaire philosophique, Paris, éd, Minuit,1971 ;PP 162-163.
- 3- J,Rey- Debove, le Métalanguage, étude linguistique du discours sur le langage , Paris ,éd Armand Colin,1997,p20.
- 4- L,Hjemslev, Prolégomènes à une théorie du langage ,trad , U, Canger ,suivie de ,la structure fondamentale du langage ,tard A-M, Léonard,Paris, éd, Minuit ,PP183-184.
- 6- R,Jakobson, Essais de linguistique générale , les fondements du langage, tard et préf N,Rewet, Paris,éd, Minuit,1963,PP,217-218.
- 7- D Bougnoux ,les sciences du langage et de la communication ,in ,Epistémologie des sciences sociales ( sous la dir.J-M Berthelot),Paris, éd, P.U.F.,1<sup>er</sup> éd ,2001,P ,168.
- 8- J.Lyons, Eléments de sémantique , trad J.Durant, Paris éd,Larousse,1978,PP,16-17.
- 9- J.Rey-Debove, le métalanguage ,PP,84-87.
- 10-J,Rey Debove , la réflexivité et le blocage du sens , in ,A,Rey, théories du signe et du sens, II, Paris ,éd,Klinckseick,1976,P,226.
- 11-Idem.
- 12-Hjelmslev, Op, Cit,PP,139-144.

- 13- Voir J,Rey- Debove, la réflexivité et le blocage du sens .
- 14- L.Hjelmslev,Op. Cit,P,150.
- 15- Voir,J,Rey-Debove, la réflexivité et le blocage du sens.
- 16- R.Barthes , L'aventure sémiotique, Paris,éd.Seuil,1973,P,79.
- 17- C.Cerbrat-Orecchioni,la connotation ,Lyon,éd.P.U.F.,3éd,1977,P ,129.
- 18- L,Hjelmslev,Op,Cit,P,150.
- 19- Voir J,Rey ,-Debove,la réflexion et le blocage du sens.
- 20- R. Barthes, Mythologies,Paris,éd seuil,1957,PP,299-200.
- 21- L.Hjelmslev,Op,Cit p,151.
- 22- Idem,P,152.
- 23- L.Porcher,introduction à une sémiotique des images ,sur quelque exemple d'images publicitaires,éd.Marcel didier, Paris,1976,PP.12-13.
- 24- R.Barthes,L'aventure sémiologique, PP,79-80.
- 25- L,J, Prieto, Pertinence et pratique , essais de sémiologie, paris ,éd, Minuit, 1975,PP.155-156.
- 26- Idem.,P.147.
- 27- L.Hjelmslev,Op.Cit,pp.152-155.
- 28- Idem.,PP.156-157.